

العلامة محمد اقبال

المولد والنشأة

ولد محمد إقبال يوم 9 نوفمبر/تشرين الثاني 1877 في مدينة "سيالكوت" بولاية البنجاب (التي أصبحت جزءا من باكستان بعد استقلالها عن الهند)، في بيت من بيوتات البراهمة الكشميريين، أسلم جده الأعلى قبل نحو قرن ونصف من ميلاده، وتربى في بيت صلاح وزهد، وكان والده رجل ورع وتصوف، فأخذه بتربية صارمة كان لها أثر بالغ في حياته كلها.

فقد تعلق بالقرآن منذ الصغر، وكان يقرأه اقتداء بوصية والده "كأنما أنزل عليه"، حتى تشرب معانيه وسرت ألفاظه في شعره، وطغى عليه حس إنساني امتزجت فيه الأكوان والأوطان، وذابت فيه الحدود والثغور، حتى قال عن نفسه: "إن جسمي زهرة من جنة كشمير، وقلبي من حرم الحجاز، وأنشودتي من شيراز".

الدراسة

استهل تعليمه النظامي في مدرسة إنجليزية بمدينته ثم انتقل إلى كلية أخرى في البلدة نفسها، ثم إلى كلية حكومية في لاهور -عاصمة البنجاب- وكان متفوقا في اللغتين العربية والإنجليزية، وحصل على شهادتي البكالوريوس والماجستير في الفلسفة.

وفي سنة 1905 سافر إلى لندن ودرس في جامعة كامبردج وحصل على شهادة عالية في الفلسفة وعلم الاقتصاد، ومكث هناك سنتين يحاضر عن الإسلام.

ثم سافر إلى ألمانيا ودرس الفلسفة في جامعة ميونيخ وحصل على شهادة الدكتوراه عن دراسة بعنوان "تطور الميتافيزيقيا في بلاد فارس"، وعاد إلى بريطانيا وحصل على شهادة في المحاماة من جامعة "كامبردج"، وانتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد والسياسة في لندن وتخرج في المادتين.

الوظائف والمسؤوليات

بعد تخرجه في كلية لاهور عين أستاذا للتاريخ والفلسفة والسياسة في الكلية الشرقية بـلاهور، ثم عين أستاذا للإنجليزية والفلسفة في الكلية الحكومية التي تخرج فيها.

وخلال دراسته في بريطانيا عمل أستاذا للغة العربية في جامعة لندن، ولما عاد إلى الهند سنة 1908 عمل محاميا.

شاعر الإسلام

كان إقبال أول شاعر يلقب بشاعر الإسلام، كما كان أول مناد بقيام وطن خاص بالمسلمين في شبه القارة الهندية، وهو ما تحقق بقيام باكستان بعد وفاته بسنوات.

ويبدو أن آثار النشأة الأولى - في رحاب التصوف والاعتباط بنعمة الإسلام - قد أورثته حبا للرسول صلى الله عليه وسلم، جارفا غامرا، ملك عليه أقطار نفسه واستبد بهواه، وعصمه من غوائل الحياة الغربية وشروخ الحضارة المادية، يقول عن نفسه: "لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لبي ويُعشي بصري، لأنني اكتحلت بإثمد المدينة". "إن تربة المدينة أحب إلي من العالم كله".

وهو فوق كل ذلك شاعر مسلم قوّم بالقسط - حسب وسعه ووسع زمانه - نزاع إلى الحركية الإيجابية، وإلى البعث والإحياء، وإلى "إعادة بناء التفكير الإسلامي" وفق منهج يزدوج فيه العقل والنقل ويصطحب فيه الرأي والشرع.

أما في دراسته لتاريخ الفكر الإسلامي فقد لاحظ أن "الفلسفة اليونانية كانت قوة ثقافية عظيمة في تاريخ الإسلام"، وسّعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام، لكنها جنت عليهم جناية عظيمة حين أعشت أبصارهم عن فهم القرآن، وحجبت عن بصائرهم أن روح القرآن معارضة لتعاليم الفلسفة.

المؤلفات

كتب إقبال تسعة دواوين، تضمنت نحو 12 ألف بيت من الشعر، منها قرابة سبعة آلاف بيت بالفارسية، وخمسة آلاف بيت بالأوردية. ومن أشهر دواوينه: "جناح جبريل" و"رسالة المشرق" و"ضرب الكلیم" و"هدية الحجاز" و"الأسرار والرموز" و"صلصلة الجرس". أما أهم كتبه النثرية فـ"تجديد الفكر الديني في الإسلام"، و"تطور الميتافيزيقيا في بلاد فارس". وكان من آخر ما كتب وهو على فراش الموت (حسب ترجمة الندوي، بتصرف):

"ليت شعري، هل تعود النعمة التي أرسلتها في الفضاء؟ هل تعود النفحة الحجازية؟ لقد أظلم الموت وحضرت الوفاة، فهل من حكيم يرثني؟"

الوفاة

توفي محمد إقبال فجر الـ 21 أبريل/نيسان 1938، ودفن في لاهور.